الفصل الخامس

القيادة العسكرية

يقرر علم النفس العسكرى أن للقيادة العسكرية عنصرين أساسيين هما : صفات القيادة التى يجب أن يتحلى بها القائد ، ومبادىء القيادة أى القواعد التى ينبغى أن يتبعها القائد عند ممارسته للقيادة • وكما استخلصت صفات القيادة من دراسة شخصيات القادة العسكريين البارزين ، فقد استنبطت مبادىء القيادة من التجارب والدراسات التى أجريت على القيادات الفذة وأساليبها فى القيادة ، وأصبح العسكريون فى كل مكان من العالم يتعلمون هذه المبادىء التى ثبت أن تطبيقها هو من أكبر عوامل النجاح فى القيادة وتحقيق النصر فى المعارك الحربية •

● صفات القائد العسكرى :

يمكن تلخيص نتائج أهم الدراسات التى أجريت بقصد التعرف على سلوك القادة فيما يأتى :

اولا : لخص « كارتر »[1] أهم الأعمال وأنواع السلوك التى أسفر عنها تحليل القيادات الممتازة الناجحة فى الجيش الأمريكى فيما يلى :

١ ــ القيادة بأعباء التخصص المهنى والفنى •
٢ ــ معرفة المرؤوسين والاهتمام بشئونهم •
٣ ــ استمرار الاتصال بالآخرين •

---

(1) L. Carter ; « Military Leadership ». **Military Rev**, 1952, 32, 14 - 18.

٤ ــ تحمل المسئولية ، والقدوة الحسنة .
٥ ــ المبادأة والتوجيه فى العمل .
٦ ــ تدريب الأفراد كفريق متكامل .
٧ ــ اتخاذ القرارات .

ثانيا : قام المعهد الأمريكى للبحوث بمحاولة للكشف عن المهام الرئيسية الضرورية فى عمل القوات الجوية . وقد ذكر « برستون »[1] أنه قد أجريت مقابلات مع ٦٤٠ ضابطا من مختلف الرتب والوظائف ، وطلب من كل منهم أن يفكر فى موقف محدد لاحظ فيه ضابطا يسلك سلوكا فعالا وأن يصف هذا السلوك . وقد قسمت فئات السلوك الناتجة الى ما يلى :

١ ــ التخطيط ، والمبادأة ، وتوجيه العمل .
٢ ــ معالجة التفاصيل الادارية .
٣ ــ تقبل المسئولية الشخصية .
٤ ــ الاشراف على الآخرين .
٥ ــ اظهار الشعور بالولاء للجماعة والانتماء للمنظمة .
٦ ــ القيام بأعمال التخصص المهنى والفنى .

ثالثا : ومن أهم البحوث التى أجريت فى تحديد أبعاد سلوك القائد ، هى تلك التى يطلق عليها « دراسات جامعة أوهايو للقيادة » . وقد بدأت هذه الدراسات بتعريف القيادة تعريفا مؤقتا على أنها « سلوك فرد حين يوجه نشاط الجماعة نحو هدف مشترك » ، ثم افترضت بعد ذلك تسعة أبعاد للسلوك هى[2] :

---

(1) H. Preston; **The Development of a procedure for Evaluating Officers in the Air Force** (Pitsburg : Amer. Instit. for Research, 1948).

(2) T. Hemphill **Leader Behavior Description.** (Columbus, Ohio : State univ . Research Foundation, 1952).

١ ــ المبادأة ، أى المبادرة الى العمل تلقائيا •

٢ ــ التمثيلية ، أى دفاع القائد عن جماعته وتمثيلها •

٣ ــ التكامل ، أى تخفيف حدة الصراع بين الأعضاء •

٤ ــ التنظيم ، أى تحديد عمله وعمل الآخرين ، وعلاقات العمل •

٥ ــ السيطرة ، أى تحديد سلوك الأفراد أو الجماعة ، واتخاذ القرارات ، أو التعبير عن الرأى •

٦ ــ الاتصال ، أى اعطاء المعلومات للأعضاء والحصول على معلومات منهم •

٧ ــ التقدير ، أى تأييد أعضاء الجماعة أو عدم تأييدهم •

٨ ــ الانتاج ، أى تحديد مستويات الجهد أو التحصيل •

ثم أعدت بعد ذلك المقاييس اللازمة لقياس كل من هذه الأبعاد المفترضة ، وطبقت على عدد كبير من الأفراد ، وحللت معاملات الارتباط بينها تحليلا عامليا • وفيما يلى الأبعاد الأربعة التى أسفر عنها تطبيق صورة معدلة من مقاييس وصف سلوك القائد على رجال القوات الجوية[1] :

١ ــ تقدير القائد لتابعيه ، ويتضمن ذلك حرارة العلاقات الشخصية ، والاستعداد لشرح المهام ، والاستماع الى المرؤوسين •

٢ ــ المبادأة فى تحديد بناء الجماعة ، أى تنظيم العلاقات بينه وبين تابعيه وتحديدها : ويتضمن ذلك الاحتفاظ بمعايير محددة فى العمل ، وتوضيح اتجاهه نحو الجماعة ، وتوزيع العمل •

٣ ــ الاهتمام بالانتاج ، أى اهتمام القائد بضرورة أداء العمل على أحسن وجه •

---

(1) A. Haplin, and B. Winner ; **The Leadership Behavior of the Airplane Commander.** (Columbus, ohio : State Univ. Research Board, 1952).

٤ ــ الحساسية والوعى الاجتماعى ، أى اهتمام القائد بأن يكون مقبولا من الجماعة ، واستعداده لتقبل التعديل فى طرق انجاز العمل ، والتوفيق بين الأعضاء .

رابعا : وقد أوضحت البحوث التى أجريت فى القوات المسلحة الأمريكية[1] ونشرت بعنوان « الجندى الأمريكى » أن الضباط يختلفون عن الجنود فى اتجاهاتهم نحو السلطة والقيادة وبعض الأساليب القيادية . كما وجد أن ضباط الطيران من رتبة الملازم قدروا قادتهم تقديرات أقل بدرجة ملحوظة من تقديرات من رتبة نقيب فما فوق ، وذلك فيما يتصل بالعلاقات الشخصية التى ظهرت أهميتها فى التمييز بين القائد الجيد والقائد الضعيف . ولقد كان الاختلاف بين المرؤوسين والرؤساء فى تقديراتهم أكبر ما يكون فى الصفات الآتية : الاخلاص والوفاء بالوعد ، وعدم التحيز ، ومراعاة مشاعر الآخرين ، والعمل لمصلحة الجماعة ، والقدرة على الاختلاط مع المرؤوسين .

* * *

● **صفات القائد العسكرى فى الاسلام :**

اذا كانت صفات القائد العسكرى قد جاءت نتيجة لدراسات وبحوث علمية كما أسلفنا ، فان هذه الصفات كلها وما يزيد عنها قد اجتمعت فى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قائد جيش الاسلام الأول ، لذلك فهو المثل الكامل ، وهو القدوة المثلى ، عملا بقوله تعالى :

﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة .. ﴾ .
(الأحزاب : ٢١)

وفيما يلى نذكر هذه الصفات[2] :

---

(1) S. Stouffer, et. al.; **The American Soldier** « vol . 1 » (Princeton Univ . Press, 1949).

(٢) محمد جمال الدين محفوظ : **النظرية الاسلامية فى القيادة الحربية** . (القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٧٧) ، ص ٢٨ ــ ٥٠

١ ـ كمـال الأخـلاق :

لسنا بحاجة الى الحديث عن أخلاق الرسول الكريم ، فهو رسـول الله الى الناس ، اصطفاه الخالق جل جلاله ليبلغ أعظم رسـالة ، وقـد حفظه المولى ورعاه وجنبه سـيئات الجاهلية ودنسها ، حتى كان أفضل قومه ، وأحسنهم خلقـا ، وأكرمهم حسـبا ، وأرجحهم عقلا ، وأصدقهم قولا ، حتى لقب بـ « الأمين » فى حداثة سـنه . ولقد خاطبـه الله تعالى بقوله سـبحانه : ﴿ **وانك لعلى خلق عظيم** ﴾ . (القلم : ٤)

﴿ .. **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ..** ﴾ .
(آل عمران : ١٥٩)

وقد حدث عليه الصلاة والسـلام عن نفسـه فقال : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

٢ ـ رجـاحة العقل والفطنـة :

لقد كان رسول الله صلى الله عليـه وسلم من كمال العقل ورجاحته بدرجـة لم يبلغها بشر سـواه . وعلى الرغم من أنه لم يسبق له ممارسة القراءة ليتعلم منها ، فقـد تبين من التاريخ أنه أعقل العالمين . وخير مثال لذلك حسن سـياسته للعرب الذين كانوا أهـل عزة واباء وانطلاق مع طبيعة متنافرة متباعدة ، وكيف احتمل جفوتهم وصـبر على أذاهم بكل حكمة وفطنة وبعـد نظر ، حتى انقادوا اليه والتفوا حوله ، وقاتلوا فى سـبيله أهليهم واختاروه على أنفسهم وهاجروا معـه تاركين أرضـهم وذويهم .

٣ ـ احترام النفس والتواضـع :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف قدر نفسـه ويحترمها .. فكان بريئا من الرياء والتصنع ، مسـتقل الرأى ، يحترم رأى الآخرين ويشاورهم فى الأمر ، لا يدعى ما ليس فيه ، ولم يكن متكبرا أو خانعا .. بل كان يرقع ثوبه بنفسـه وفى ذات الوقت يقول : « ألحـق أكاسرة

الفرس وقياصرة الروم » . وكان لا يؤخر عمل اليوم لغده ، وما عبث قط ، وان كان يمزح ولا يقول الا صدقا . وكان يكره أن يحيط نفسه بالمظاهر الكاذبة أو مظاهر السلطة والسلطان والملك ، فكان يقول لأصحابه:«لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم،انما أنا عبد الله فقولوا : عبد الله ورسوله » . وخرج على جماعة من أصحابه متوكئا على عصا فقاموا له فقال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا » .

٤ ـ الصبر وقوة الاحتمال والثبات على المبدأ :

فبالنسبة للصبر وقوة الاحتمال ، كان النبى صلى الله عليه وسلم فيهما المثل الأعلى .. فلقد أوذى ـ فى سبيل الله أثناء دعوته ـ فى نفسه وأصحابه ، فلم يجزع ، بل كان شجاعا حكيما ، وصبورا كريما . فكم ناله من أذى الكفار والمشركين وكيد المنافقين ، فما لج بالشكوى ، بل كان دأبه الصبر مع التفويض لله تعالى ، فمن دعاء الرسول الكريم :

ـ « اللهم انى ضعيف فقير ، خذ الى الخير بناصيتى واجعل الاسلام منتهى رضائى . اللهم انى ضعيف فقونى ، وانى ذليل فأعزنى ، وانى فقير فأغننى » . (رواه أحمد)

وكان عليه أفضل الصلاة والسلام يقابل الأذى بالصبر الجميل . ويعامل أعداءه بالمداراة ويتألفهم بحسن المصانعة ، فكان يقابل الحمق بالحلم والرفق ، والصلف بالوداعة والأناة .. وفى ذات الوقت كان لا يحيد عن المبدأ قيد شعرة .. انظر اليه وهو يقول لعمه وهو يحاول اقناعه بالرجوع عن قريش وترك الدعوة : « والله يا عم .. لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر أو أهلك من دونه ما تركته » .

٥ ـ الشجاعة والمبادرة للنجدة :

كان الرسول عليه الصلاة والسلام فى هذا المضمار المثل الذى لا يبارى والقدوة منقطعة النظير . ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة

اذ سمعوا صوتا قويا غير عادى ، فانطلقوا نحو الصوت فتلقاهم رسول الله راجعا وقد سبقهم الى الصوت وعرف الخبر ، وكان راكبا فرسا والسيف فى عنقه وهو يقول : « لن تراعوا » • وهكذا كان الرسول أسبق القوم الى النجدة •

وقد برزت شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحروب والمعارك والغزوات بصورة ليس لها مثيل فى التاريخ :

ـ فقد قاد بنفسه ثمان وعشرين غزوة انطوت على كل صور العمليات الحربية من دفاع وهجوم ومطاردة وحصار ، وقيام القائد بتولى القيادة بنفسه شجاعة لا تؤثر أن تتوارى •

ـ لم يكتف بالقيادة ، بل كان يشترك فى القتال بنفسه وخاصة فى المواقف الصعبة والحرجة من المعركة ، وفى ذلك يقول الامام على كرم الله وجهه : « كنا اذا اشتد الخطب واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما كان أحد أقرب الى العدو منه ، ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا الى العدو » •

وسجل الغزوات حافل بالمواقف التى يتصدع منها قلب أشجع الرجال ، ومع ذلك فقد ثبت الرسول صلى الله عليه وسلم فيها غير مكترث بما يحدق به من أخطار •

٦ ـ اللياقة البدنية :

كان النبى صلى الله عليه وسلم يتمتع بلياقة بدنية عالية ، فكان يصرع الرجل القوى ، ويركب الفرس عاريا فيروضه على السير ، وكان يتسابق مع أحبائه فى العدو • وفى غزوة الخندق كان أصحابه يلجأون اليه عند حفر الخندق كلما استعصت عليهم صخرة فيسرع اليهم لتحطيمها حيث تتفتت تحت وطأة مطرقته التى يهوى بها ساعده القوى • وقد شارك أصحابه فى حراساتهم وفى استطلاعاتهم وفى مسيراتهم الطويلة الشاقة ، وأظهر فى ذلك تحملا وجلدا يعجز عنه أقوى أصحابه •

ويقول أبو هريرة رضى الله عنه : « ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشيه ، كأنما الأرض تطوى له ، انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث » .

٧ ـ حسن المعاملة والمحبة :

كان النبى صلى الله عليه وسلم أوسع الناس صدرا وأصدقهم لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة . وكان يخالط أصحابه ، ويجيب دعوة الحر والعبد والمسكين ، ويعود المرضى فى أقصى المدينة ، ويقبل عذر المعتذر ، ويبدأ من يلقاه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ويدعوهم بأحب أسمائهم ، ولا يقطع على أحد حديثه ، وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « انكم لا تسعون الناس بأموالكم ، فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق » . ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام فى هذا المجال :

ـ « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » . (متفق عليه)

ـ وعن ابن عمر وعائشة رضى الله عنهما قالا : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . (متفق عليه)

ـ « الجار أحق بشفعته » . (رواه البخارى ومسلم)

ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ؟ اليوم أظلهم بظلى يوم لا ظل الا ظلى » . (رواه مسلم)

ولقد ظهرت محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، ومحبة أصحابه له فى كل غزواته ، بل فى كل موقف له فى السلم والحرب .

وحسبنا أن نذكر موقف أصحابه منه فى معركة « أحد » لما أحدق به المشركون من كل جانب وصوبوا عليه نبالهم ، فأخذ المسلمون يصدون عنه النبال المصوبة اليه بأجسادهم .

أما عن حب الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، فيكفى أن نذكر كيف نعى شهداء « مؤتة » وعيناه تذرفان . ولقد كان يحب أصحابه حبا لا مزيد عليه ، فاذا سلم عليهم لا يكون البادىء أبدا بسحب يده عن السلام ، وكان يلقى الناس بوجه باسم متهلل ، وكان يمقت الغيبة ، وكان يبدأ أصحابه دائما بالتحية .

٨ ـ الثقة المتبادلة :

كانت ثقة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم به عظيمة جدا دون حدود ، كما كانت ثقته بأصحابه كبيرة جدا . ويكفى أن نذكر موقف المسلمين من صلح الحديبية ، اذ لولا ثقتهم العظيمة به لرفضوا هذا الصلح .

أما ثقته بأصحابه فيكفى للتدليل عليها أنه قبل الزج بقواته فى غزوة « بدر » بينما كانت قوات المشركين ثلاثة أمثال قواته ، كما خاض معركة « أحد » بينما كانت قوات المشركين خمسة أمثال قواته . ولا يمكن أن يقبل القائد الاشتباك فى معركة لا يعرف مصيرها ضد أعدائه المتفوقين على قواته تفوقا ساحقا ، الا اذا كان ذلك القائد يثق برجاله ثقة عظيمة .

٩ ـ الاتزان الانفعالى :

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الطيبة والأسوة الحسنة فى الاتزان الانفعالى ، وحفلت سيرته العطرة بصورة رائعة من التحكم فى النفس فى أشد المواقف حرجا فى السلم والحرب معا . فلم يكن من السهل السيطرة على الأعصاب وتمالك النفس عندما طوقه المشركون هو وبعض أصحابه من كل جانب فى غزوة « أحد » ، ومع ذلك تمالك نفسه وأمسك بزمام الموقف ، وكافح مع أصحابه حتى استطاع أن يخلص المسلمين من فناء أكيد .

ولم يكن من السهل السيطرة على الأعصاب أو تمالك النفس يوم الخندق عندما علم بغدر اليهود ونقضهم للعهد ، فأصبح الخطر يهدد قوات المسلمين من خارج المدينة (بعشرة آلاف مقاتل من الأحزاب) ومن داخلها باليهود ، ومع ذلك فقد تمالك الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه وأمسك بزمام الموقف فصد الأحزاب ، وقضى على اليهود .

تلك أمثلة من سيطرته على أعصابه واتزانه الانفعالى فى وقت الشدة . أما فى وقت الرخاء ، فأروع ما يذكر من أمثلة ما كان يوم فتح مكة وانتصاره الساحق على قريش التى ناصبته العداء أكثر من عشرين عاما . فنراه متمالكا لنفسه ، ممسكا بزمام الموقف ، ولم يظهر منه ما يدل على التعاظم أو الجبروت أو غير ذلك من صفات القادة عند انتصارهم ، وكانت قولته المشهورة لأهل قريش : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

١٠ ـ الاستبصار وبعد النظر :

يعتبر الاستبصار وبعد النظر والقدرة على التنبوء من العمليات العقلية العليا ، ومن أسس النجاح فى التخطيط والقيادة عموما . والقائد الناجح هو الذى يضع فى اعتباره كافة الاحتمالات ـ أطيبها وأسوأها وقريبها وبعيدها ـ ويعد الخطط لكل موقف حتى يتخذ لكل ما يناسبه دون تردد .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحلى بميزة بعد النظر والاستبصار فى شتى أعماله العسكرية وغيرها ، والأمثلة على ذلك كثيرة ..

ـ فلقد أصر الرسول صلى الله عليه وسلم على قبول شروط صلح الحديبية ، لأنه فكر بعمق وبعد نظر ، فعرف بفكره الثاقب أن قبول هذه الشروط نصر للمسلمين ، فهى تحقق لهم الاستقرار . وفى ظل هذا الاستقرار أصبح جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل عند فتح مكة ، بعد أن كان ألفا وأربعمائة قبل سنتين .

ـ وكانت جميع الدلائل تشير الى استسلام قريش يوم الفتح ، ومع ذلك اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كافة التدابير لمعالجة أسوأ الاحتمالات ومواجهتها .. فقسم قواته الى أربعة تشكيلات ، ودخل مكة من جهاتها الأربع بتشكيلات القتال حتى تستطيع قواته القضاء على كل مقاومة بسهولة ، دون أن تباغت من جهة غير متوقعة .

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفكر فى كل صغيرة وكبيرة ، ويعد لكل أمر عدته ، ويلزم الحيطة والحذر ، لذلك لم يستطع أعداؤه أن يباغتوه فى أى موقف بينما استطاع هو أن يباغتهم فى أكثر من غزوة .

١١ ـ تكامل الشخصية :

عندما يفكر الناس فى الشخصية ، فانهم ينظرون اليها عادة باعتبارها التأثير أو الانطباع الذى يحدثه الفرد لدى الآخرين ، كأن يرونه مثلا شخصا مسالما أو عدوانيا . أما علماء النفس فانهم يدرسون الشخصية وينظرون اليها باعتبارها الأبنية والعمليات النفسية الثابتة التى تنظم خبرات الفرد وتشكل أفعاله واستجاباته للبيئة التى يعيش فيها ، والتى تميزه عن غيره من الناس . وبعبارة أخرى ، فالشخصية هى ذلك التنظيم الدينامى فى الفرد لتلك الأجهزة الجسمية والنفسية التى تحدد طابعه الفريد فى توافقه مع بيئته . فعلماء النفس حينما يدرسون الشخصية ، ينظرون الى الفرد ككل متكامل ، يعمل ويستجيب كوحدة منظمة تتفاعل فيها جميع أجهزته البدنية والنفسية ، وتحدد سلوكه واستجاباته بطريقة يتميز بها عن غيره من الناس[1] .

ان فى طبيعة تكوين الانسان استعدادا لفعل كل من الشر والخير ، أى استعدادا لاتباع أهوائه وشهواته البدنية والاستغراق فى الاستمتاع بملذاته الحسية .. واستعدادا للتسامى الى أفق الفضيلة والتقوى والمثل والقيم الانسانية العليا والعمل الصالح ، وما يحققه ذلك من

---

(١) محمد عثمان نجاتى : **القرآن وعلم النفس** . ص ١٩٩ .

سعادة وسكينة نفسية وروحية . ومن الطبيعى أن تتضمن طبيعة الانسان وقوع الصراع بين الخير والشر ، وبين الفضيلة والرذيلة .

ان الحل الأمثل للصراع بين الجانبين البدنى والروحى فى الانسان هو التوفيق بينهما ، بحيث يقوم الانسان باشباع حاجاته البدنية فى الحدود التى أباحتها الشريعة الاسلامية ، ويقوم فى الوقت ذاته باشباع حاجاته الروحية . ومثل هذا التوفيق بين حاجات البدن وحاجات الروح يصبح أمرا ممكنا اذا ما التزم الانسان فى حياته بالوسطية والاعتدال . وفى هذا المجال يقول القرآن الكريم :

« والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .
(الفرقان : ٦٧)

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا .. » . (البقرة : ١٤٣)

« .. ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » .
(الاسراء : ١١٠)

ومن الحديث النبوى الشريف :

« خير الأمور أواسطها » . (رواه البيهقى)

ـ « ألهوا والعبوا فانى أكره أن يكون فى دينكم غلظة » .
(رواه البيهقى)

ـ « روحوا عن قلوبكم ساعة فساعة » . (رواه أبو داود)

ـ « ان الله يحب أن تقبل رخصه كما يحب العبد مغفرة ربه » .
(رواه الطبرانى)

ـ « سددوا ، وقاربوا ، واغدوا ، وروحوا ، وشيئا من الدلجة . والقصد القصد تبلغوا » . (رواه البخارى)

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم متواضعا ، حليما ، رؤوفا ، رحيما ، ومع ذلك لا يستطيع أحد أن يرفع صوته فوق صوت النبى ،

ولا يستطيع أحد أن يديم النظر الى وجهه المشرق المنير ، ولا يستطيع أحد أن يرد له أمرا أو يتردد فى تنفيذه • ولقد خاطبه الله تعالى فى القرآن الكريم بقوله :

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين ﴾ •

(آل عمران : ١٥٩)

ان أسباب تكامل شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم تكمن فى محبته للناس جميعا ، ورغبته الشديدة فى خيرهم وهدايتهم ، وخلقه الكريم •

ويرى علماء النفس المحدثون أن الذين يعملون على افادة أكبر جزء ممكن من المجتمع الانسانى ، يعتبرون أرقى الشخصيات جميعا ، وهم فى الغالب أقربها الى التكامل • ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل لاسعاد البشرية وهدايتها • انظر الى قوله عليه الصلاة والسلام :

ـ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » •

* * *

● **القدوة الحسنة :**

سبق أن ناقشنا فى الفصل الثالث « القدوة الحسنة » كاحدى الصفات الهامة اللازمة للقائد ، وأوردنا الآيات والأحاديث الدالة عليها • ونستشهد هنا ببعض الأحداث الدالة على هذه الصفة فى تصرفات الرسول عليه الصلاة والسلام ••

كانت غنائم يوم « حنين » أربعة وعشرين ألف بعير ، وأربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة ، وستة آلاف نسمة من السبى ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم وزع الغنائم وأعاد السبى ، ولم يبق لنفسه شيئا •

ـ كان عليه الصلاة والسلام يبيت الليالى المتتابعة طاويا ، وأهله لا يجدون عشاء ، وكان عامة خبزهم الشعير . وفى يوم من الأيام جاءت ابنته فاطمة اليه بكسرة من خبز ، فسألها : « ما هذه الكسرة يا فاطمة » ؟ قالت : « قرص خبزته فلم تطب نفسى حتى آتيك بهذه الكسرة » فقال : « أما أنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام » . وقالت أم المؤمنين عائشة : « والله لقد كان يأتى على آل محمد صلى الله عليه وسلم شهر لا نخبز فيه » . وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند رجل من اليهود بوسق (ستين صاعا ، والصاع خمسة أرطال وثلث) من شعير .

ـ كان عليه الصلاة والسلام لا يفكر أبدا بنفسه ، كما لم يذكر أبدا بأهله فيسبغ عليهم هذا الترف الذى يشيع بين ذوى الجاه والسلطان ، فكان فى هذا قدوة للمسلمين . وكان جم التواضع عملا بقوله تعالى :

﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ . (الفرقان : ٦٣)

﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ .
(الشعراء : ٢١٥)

﴿ .. أذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ... ﴾ .
(المائدة : ٥٤)

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ... ﴾ . (الفتح : ٢٩)

ومن الحديث النبوى الكريم :

ـ « ان الله تعالى أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد » . (رواه مسلم)

ـ « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعه » . (رواه مسلم)

* * *

● **مبادىء القيـادة العسـكرية :**

يقرر علم النفس العسكرى أن للقيادة العسكرية عنصرين : أولهما صـفات القيادة التى يجب أن يتصف بها الشخص حتى يكون قائدا ناجحا ، وثانيهما مبادىء القيادة ، وهى القواعـد والأصول التى يجب أن يتبعها القائد ويطبقها عند ممارسته للقيادة .

وكما استخلصت صفات القيادة ـ التى سبق مناقشـتها ـ من دراسـة شخصيات القادة البارزين ، فقـد استنبطت مبادىء القيادة من الدراسـات والتجارب والتحاليل التى أجريت على القيادات الناجحة الرائدة وأساليبها فى القيادة . وأصبح القادة العسكريون على اختلاف مراكزهم يدرسـون هذه المبادىء التى ثبت أن تطبيقها من أكبر عوامل النجاح فى القيـادة وتحقيق النصر فى المعركة .

ولقد جاءت العسكرية الاسلامية بكل ما وصلت اليه دراسـات الخبراء وأبحاث العلماء مؤخرا من مبادىء ، وجعلت لها منزلة رفيعة حيث ربطتها بمبادىء الدين الحنيف ، فولدت بذلك أقوى الحوافز التى تدفع القادة الى اتباعها والحرص عليها . وفيما يلى هذه المبادىء[1] :

١ ـ معرفة القـائد لعمله :

القائد العسكرى الجيد هو الذى يكون مدركا لدقائق عمله وخبيرا فيـه ، ولا يتأتى ذلك الا على أسـاس من العلم والدراية والمعرفة الواعية مع الممارسـة والتدريب العملى فى كل ما يتعلق بمهام وظيفته .

وقد عنى الاسـلام بتنمية العلم والمهارات من خلال التدريب وحث عليهما ، فهما من أسس اعداد « القوة » التى أمر الله تعالى بها :

﴿ واعدوا لهم ما اسـتطعتم من قوة ومن رباط الخيل .. ﴾ .
(الأنفال : ٦٠)

---

(١) محمد جمال الدين محفوظ : **مرجع سـابق** . ص ٦٥ ـ ٨٩ .

٢ ـ معرفة القائد لنفسه :

من واجب كل قائد أن يعرف مواطن القوة والضعف فى ذاته • فالانسان الذى لا يعرف خصائص ذاته ، أو لا يدرك حدود امكاناته ، لا يكون سيد نفسه ولا يرجى منه أن يكون قائدا ناجحا • وكذلك فان الشخص الذى يدرك جوانب القصور أو الضعف فيه ولا يسعى جاهدا للتغلب عليها واصلاحها سوف يفشل فى القيادة ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه » •

وفى هذا الحديث توجيه الى أن يعرف الانسان نفسه بما فيها من قوة وضعف ، كما يوحى باتخاذ ما ينبغى نحوها من عمل ايجابى يتعهد جوانب القوة بالمحافظة عليها ودعمها وتنميتها ، وتناول جوانب القصور بالعلاج والاصلاح •

ان عناية الاسلام بتكوين الضمير الدينى للمسلم ، وبالدعوة الى جهاد النفس ومحاسبتها ، تربى فى الشخص فضيلة النقد الذاتى وتنميها وهى من أحسن سبل معرفة الانسان لنفسه واصلاحها والسير بها فى طريق الكمال المنشود •

٣ ـ معرفة القائد برجاله •

وكما يجب على القائد أن يعرف نفسه ، فانه ينبغى عليه أن يعرف رجاله جيدا ، لكى يدرك خصائص كل منهم والفروق الفردية بينهم • فهذه المعرفة من أولى مهام القائد التى تعينه على قيادة رجاله بنجاح ، وتوجيه كل منهم الى ما يناسبه ، وبذلك يمكنه استخدام أقصى ما لديهم من طاقات مادية ومعنوية لتحقيق الأهداف المنشودة •

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف رجاله تماما ، ويدرك خصائص كل منهم ، لأنه ولد بينهم وعاش وترعرع وسطهم ، وكان يعيش بينهم فردا منهم يشاركهم أفراحهم وأتراحهم • وكانت معرفة الرجال وخصائصهم هى الأساس الذى يستند اليه فى وضع كل رجل فى

المكان الذى يناسبه .. فمثلا فى مجال الشجاعة والجرأة كان يعرف من يكلفه بالعمل المطلوب . ومن ذلك أنه فى غزوة « أحد » أمسك عليه الصلاة والسلام بسيف وقال : « من يأخذ هذا السيف بحقه » ؟ فقام اليه رجال يريدون أخذ السيف ولكن الرسول أمسكه عنهم ، حتى قام « أبو دجانة » فأعطاه له .. ولقد أثبتت أحداث المعركة حسن اختيار الرسول القائد لأبى دجانة ، فقد سأل الرسول « وما حقه يا رسول الله » ؟ قال الرسول الكريم : « أن تضرب به حتى ينحنى » . ولقد قاتل أبو دجانة بهذا السيف قتالا شديدا ، فلما دارت الدائرة على المسلمين قام بعمل فدائى ، اذ حنى ظهره على الرسول وجعل منه ترسا يحميه وكانت السهام تقع فيه .

ولما أراد رسول الله أن يختار من بين المسلمين رجلا يأتيه بأخبار المنافقين اختار حذيفة بن اليمان العباسى رضى الله عنه ، لأنه كان يتمتع بمزايا رجل الاستطلاع تماما ، فقد كان معروفا بأنه شديد الحرص والكتمان لا يفشى سره لأحد ، ويتمتع باليقظة وحضور البديهة فلا يرتبك فى المواقف الحرجة ، وبتقديره العميق لأهمية حجب المعلومات عن الأعداء ، فلا يكشف عن نياته ونوايا المسلمين وأهدافهم ، كذلك كان يتمتع بالذكاء الممتاز وبموهبة حب الاستطلاع .

وهكذا كان الرسول القائد يعرف مزايا رجاله ويكلف كل واحد منهم بما يتفق مع قدراته وامكاناته البدنية والعقلية .. فكان يعرف أن فيهم صاحب الرأى والمشورة ومن يستطيع قيادة الآخرين ، ومن لا يستطيع أن يكون أكثر من جندى بسيط ، الى غير ذلك من القدرات . فاستطاع بذلك اختيار الرجل المناسب ووضعه فى المكان الملائم ، واستطاع رجاله جميعا أن ينجزوا مهامهم بكل كفاءة ومقدرة ونجاح .

٤ ـ حسن معاملة رجاله ورعاية شئونهم :

قال عليه الصلاة والسلام : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . وكان مثلا أعلى فى رعاية شئون رجاله وحسن معاملتهم

وتكريمهم والاعتزاز بهم • ان العدل والمساواة هما طابع الاسلام العام ، ودليل المدرسة الاسلامية فى معاملة الرجال • ان العدل أساس الحياة ، والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات هى البلسم الذى يشفى أمراض القلوب ويقضى على الأحقاد والضغائن • ان الاسلام يأمر بالعدل والانصاف ، وينهى عن الظلم والبغى يقول تعالى :

﴿ ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ • (النحل : ٩٠)

﴿ ... الا لعنة الله على الظالمين ﴾ • (هود : ١٨)

﴿ ... وما للظالمين من نصير ﴾ • (الحج : ٧١)

﴿ ... ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ •
(غافر : ١٨)

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر من دعوته الى العدل والانصاف ، ويحذر من الظلم وينهى عنه ، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام :

ـ « من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الاسلام » • (رواه الطبرانى)

ـ « لعن الله من رأى مظلوما فلم ينصره » •
(رواه الديلمى)

ـ « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » • (رواه أبو داود)

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يكره أن يميز نفسه أو يميزه أصحابه بشىء •• فعند بناء المسجد فى المدينة حمل النبى عليه السلام الحجارة والجريد واللبن والتراب كأى فرد من المسلمين • وكان عليه الصلاة والسلام فى سفر وتهيأ أصحابه لاعداد الطعام وتقاسموا العمل

فيما بينهم فقال عليه الصلاة والسلام : وعلى جمع الحطب • فقالوا : يا رسول الله انا نكفيك هذا ، فقال الرسول الكريم : « قد علمت أنكم تكفونني اياه ، ولكنى أكره أن أتميز عليكم ، وان الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه » • وفى غزوة الخندق ، حفر بيده وحمل الأحجار والأتربة على عاتقه •

ومن أمثلة رعايته لجنوده ، أنه كان أثناء سير الجيش يتقدمه مرة ويتأخر عنه أخرى ، لينظر فى أمور جنوده •• فيساعد المتأخر ، ويردف الراجل (أى يركب الماشى خلف الراكب) ، ويعفى الضعيف ، ويدعو لرجاله بالقوة والنصر • وبذلك تقوى قلوبهم ، وتتعانق أرواحهم ، ويجدون من حسن معاملة القائد بلسما لجراحهم ، وعوضا عن وعثاء السفر ومشقة الطريق • وكان يمرض الجرحى فى المعركة ، وكان يدعو ربه قائلا : « اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم ، فارفق به » • (رواه مسلم)

ولا بد من التنويه بأن دعوة الاسلام الى رعاية شئون الجند وحسن معاملتهم تكشف عن جانب من جوانب العظمة والسبق فى هذا الدين الحنيف ، أنه سبق بهذا المبدأ من مبادىء القيادة كل النظم الحديثة بقرون طويلة •

٥ ـ توضيح الأهداف للجنود ومداومة اعلامهم :

من المبادىء المعروفة أنه كلما زادت المعرفة ازدادت الفرصة للمبادأة وحسن التصرف • فالفرد الملم بموضوع المهمة ونوعها المدرك لأبعادها ونتائجها ، خير ألف مرة من ذلك الذى يساق الى مهمة لا يعرف عنها شيئا • قال تعالى :

﴿ افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى امن يمشى سويا على صراط مستقيم ﴾ • (الملك)

والقيادة الواعية هى التى تحرص على امداد الأفراد بالمعلومات

واعلامهم بالموقف فى حينـــه ، حتى يتحركوا تلقائيـــا وينطلقوا نحـــو الهدف • فالمجهول دائما عقبة صعبة ليس من السهل تجاوزها أو تخطيها • وقـــد كان الســـابقون فى الاسلام يتسابقون الى ميدان المعركة ، ذلك لأنهم كانوا مدركين للموقف ويعلمون الأخطار المحدقة بهم •

والقرآن الكريم فى آيات القتال يركز تركيزا كبيرا على وضـــوح الهدف ، قال تعالى :

﴿ **الذين آمنوا يقاتلون فى ســـبيل الله ... ﴾** •
(النساء : ٧٦)

﴿ **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ... ﴾** •
(البقرة ١٩٠)

﴿ **وجاهـــدوا فى الله حـــق جهاده ... ﴾** • (الحج : ٧٨)

﴿ **فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ... ﴾** •
(النساء : ٧٤)

ولقد أوضح القرآن الكريم الجزاء ان عاشـــوا أو استشـــهدوا ، فان عاشـــوا فالسيادة فى الأرض والتمكين منها ، قال تعالى :

﴿ **... ان الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾** •
(الأنبياء : ١٠٥)

﴿ **وعـــد الله الذين آمنـــوا منكم وعملوا الصـــالحات ليستخلفهم فى الأرض كمـــا اســـتخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعـــد خـــوفهم امنـــا ، يعبـــدوننى لا يشركون بى شـــيئا ... ﴾** •
(النور : ٥٥)

أما اذا نالوا شرف الشهادة ، فالنعيم الأخروى أمامهم فى صـــورة تتضاءل أمامها صور النعيم فى الدنيا بأسرها • قال تعالى :

﴿ ... ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ . (النساء : ٧٤)

﴿ ... والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ .
(محمد : ٤ ــ ٦)

كذلك كان الرسول القائد عليه الصلاة والسلام حريصا كل الحرص على اعلام أصحابه وتزويدهم بكل المعلومات الضرورية ، كما كان يحرص على أخذ مشورتهم سواء فى التخطيط أو التنفيذ .

٦ ــ اتخاذ القرارات السليمة الحاسمة :

يرتكز القرار السليم الى قدرة القائد وخبرته فى تقدير الموقف والخروج منه باستنتاجات سليمة منطقية تستند الى معلومات واقعية وقدرة تحليلية . ولقد كان الرسول الكريم معنيا بالاستطلاع غاية العناية ، مستخدما فى ذلك شتى الوسائل العسكرية المعروفة من عملاء وراصدين ودوريات استطلاع ودوريات قتال واستجواب الأسرى ، الى غير ذلك من وسائل الحصول على المعلومات .

ولنأخذ مثلا قرار الرسول القائد بقتال قريش فى « غزوة أحد »[1] .. لقد خرج المسلمون أصلا للقاء قافلة قريش فى طريق عودتها بالتجارة من الشام ، لكن قريشا علمت بالأمر فخرجت بكل قوتها لقتال المسلمين بقوة تتفوق عليهم بنسبة ٣ : ١ فى العدد وتتفوق فى المعدات بدرجة لا تقارن . فكان أمام الرسول عليه السلام أن يقدر الموقف ليصل الى قرار .. هل يقبل الدخول فى معركة مع قريش المتفوقة عليه عددا وعتادا أم ينسحب ؟

فرأى الرسول القائد أن المسلمين لو انسحبوا فسوف تعيرهم قريش بالتخاذل ، وسوف يطمع فيهم يهود المدينة ، هذا بالاضافة الى

---

(١) **المرجع السابق** ، ص ٨٤ ــ ٨٥

الأثر السيء للانسحاب على الدعوة الاسلامية • ولم يشأ الرسول الكريم أن يبت فى الأمر حتى يستشير أصحابه فى هذا الموقف الخطير ، فوجد منهم استعدادا وحماسا للقتال رغم تفوق العدو • فقرر الرسول صلى الله عليه وسلم دخول المعركة ، وكان النصر للمسلمين بفضل ايمانهم وصدق عزيمتهم •

وفى هذا المجال يضع لنا الرسول القائد مبدأ هاما فى اتخاذ القرارات السديدة ، ألا وهو الأخذ بالمشورة الصالحة ، وجعلها آية من آيات حسن القيادة تقترن بالابتكار وحسن التنظيم • فالقيادة الصالحة هى تلك التى تستفيد من خبرة الخبير ومن شجاعة الشجاع ، وهى التى تجند كل ما لديها من امكانات مادية وبشرية ومعنوية •

٧ ـ تحمل المسئولية وتنميتها فى المرؤوسين :

لنتأمل ذلك المبدأ الذى قرره الرسول القائد فى قوله عليه الصلاة والسلام : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ، فهو هنا يضع الأساس الأول فى مهمة القائد ، وهو « المسئولية » • ولقد قدم لنا بنفسه المثل الأعلى فى هذا المضمار بتحمله مسئوليته الهائلة ، التى لم يشاركه فى تحملها أحد ، فلقد كان أصحابه يعاونونه فى كل ما يقوم به ، لكنه كان يتحمل مسئولية كل شىء •

انظر كيف تحمل مسئولية ثمان وعشرين غزوة ، وصراعات سياسية واجتماعية على الصعيد المحلى والعالمى ، ومسئولية تنمية مجتمع جديد يتكون بكل ايجابياته وسلبياته ومشكلاته ومتناقضاته ، ومواجهته لقضايا الحياة اليومية من توفير الاحتياجات الى قضايا نشر الدعوة الاسلامية •

ولقد اقتدى بالرسول القائد فى تحمل المسئولية وتقديرها من أتى بعده من قادة المسلمين ، حتى لقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لو عثرت دابة بشط الفرات لخشيت أن أسأل عنها يوم القيامة لماذا لم أمهد لها الطريق » ؟

* * *